الكرك رحلة العصور والحضارة ...

سردية الإنسان والمكان

5 October 2025

التسمية والموقع:

اسم "الكرك"

يذهب الباحثون والمصادر التاريخية إلى أن ّاسم "الكرك" - ذو الأصل الآرامي- يعود إلى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد، في حين ارتبط بناء المدينة والقلعة بالملك ميشع المؤابي في الفترة الواقعة بين (860 – 840) ق م.

في حين نجد من يعيد الاسم إلى مصادر قديمة تحت أسماء: "كير مؤاب"(Kir Moab) التي تعني الحصن، وقد ورد في التوراة بأكثر من صيغة: "قير حارسه"(Kir –Hareseth)، و"قير حارس"(Kir -Haresh) أو "قير حرس"(Kir -Heresreseh) فالمقطع الأول(Ki r) يعني الحصن أو القلعة، وأثار المقطع الثاني تفسيرات عديدة حتى سنة)1868(، وبعد أن اكتُشِف نقش ميشع المحفوظ في متحف (اللوفر) في باريس فُسِّرت كلمة "حارس" العبرية بما يقابلها في المؤابية(تلًّا يعلو)، ويتضح بعد ذلك الاسم بمعنى المدينة المحصنة على تلٍ، وبمعنى القصبة التي تُطلق على القلعة الحصينة على مرتفع من الأرض. (تاج العروس، الزبيدي، مادة قصب).

وأعاد بعض المؤرخين الاسم إلى أصل آرامي هو (كرخا – Karkha) كما ورد في نقش ميشع، ثم حُرِّفت الكلمة لتصبح " الكرك"، و تعني (المدينة المسوَّرة)، وذهب البعض إلى أنَّها تصحيف الكلمة الآرامية(كاركو Karko)، وفُسّرت أنّها القلعة. وأعادها بعض المؤرخين إلى الكلمة الآرامية (راخات Rakath)، ثمَّ حُرِّفت إلى الكرك، (المدينة أو القلعة الحصينة).

وعُرفت الكرك في المصادر اللاتينية بالاسم الآرامي نفسه، وكتبت بالفرنسية(Lecrach) أو(Crac) أو(Krac) وبالانجليزية(Karak أو Kerak).

ويتضح من ذلك أنَّ "الكرك" كلمة آرامية الأصل أو سريانية تمت صياغتها تصحيفًا للكلمة (كرخا أو كاركو) التي تؤدي المعنى نفسه.

ويرى بعض المؤرخين أنّ هذه الكلمة الآرامية أطلقها الصليبيون اللاتين على كلّ موضع حصين يقع على جبل عالٍ يماثل في حصانته وموقعه "الكرك"؛ فالكرك سمّوها "كرك مؤاب"، والشوبك " كرك الشوبك"، وحصن الأكراد سموه" كرك الفرسان" ويقع هذا الحصن في مدينة حمص، وقلعة صهيون سمّوها "كرك صهيون" وأطلق بعض الفرنجة والمؤرخون الغربيون المتأخرون على الكرك اسم " حجر الصحراء" أو "كرك الصحراء" حتى لا يلتبس ذلك مع" كرك الفرسان" أو "كرك حصن الأكراد".

أما في المصادر العربية فقد ورد اسم "الكرك" لأكثر من موضع، ف"كرك مؤاب" هو في الأردن، و"كرك نوح" نسبة إلى النبي نوح عليه السلام؛ إذ يقال أنَّ له قبراً في موضع بين بعلبك ودمشق، وأورد القلقشندي في صبح الأعشى أن موضعًا اسمه "الكُرْك " (بضم الكاف وسكون الراء) على سواحل قبرص، وقال ياقوت عن الكرك في معجم البلدان: إنّ "الكرك" كلمة عجيبة لقلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء.

أسماء مدن وبلدات الكرك:

المزار الجنوبي: يقول بعض المؤرخين -بناءً على الوثائق التي يملكونها- إنّ اسمها (جبرا)، أمّا اسم المزار الحالي فهو حديث نسبيًّا وأطلق عليها لوجود مزارات عدد من الصحابة فيها (قادة معركة مؤتة).

مؤتة: ورد في المصادر التاريخية ومعاجم اللغة أنَّ مؤتة من " مأت" أي" موت" والأصل الهمزة، وقد ذكرها ابن عساكر ضمن أملاك "أحساء بن مؤت"، وأمّا "المؤتة" فهي الغشي والجنون، وعثر على بعض الكتابات البيزنطية هكذا(ها موتا)، وفُسّر أنّه تحريف للأصل العربي.

الربَّة: وهي "مآب" و "مؤاب" و "بادت"، وصارت تدعى فيما بعد الربة، وهي" عار مؤاب" ،وفي التوراة: " وهي من جهة مؤاب أنه في ليلة ضربت(عار مؤاب وهلكت) و(عار) اسم سامٍ ويعني المدينة، وسميت الربَّة أيضًا(عرد عبر)، وسمّاها الإغريق(عريوبوليس) نسبة إلى إله الحب عندهم(أريس)، وهي مدينة الإله(ارس) إله الحرب عند الرومان، وقد ضربت صورة الإله على العملة التي وجدت في المدينة التي أصبحت الربّة، وتعني الربّة في الكنعانية والآرامية المدينة الرئيسة وهي عاصمة مؤاب ومدينتها، وذكرها الرحالة(ترتيسرام) ، وقال عنها هي ربَّة مؤاب، وهي مدينة الكُتّاب الإغريق والرومان، وجاء اسمها من اتحاد كلمتين هما(آر ، أبه) أي نجمة الصباح".

القصر: سمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى القصر النبطي ويعود إلى القرن الثاني الميلادي.

أدِر: وفي اسمها آراء، هناك من يقول إنّه يعود إلى الإمبراطور (اريانوس) الذي مّر بها، أو أن الاسم من اللغة السريانية بمعنى "البيدر"، أو أن أصل الاسم كنعاني ويعني المجد والتألق أو المجد المتألق.

محي: يرى د. سلطان المعاني أنّ الجذر اللغوي لمحي هو(م ح و) أي من المحو والمحي وذهاب الأثر.

كثربا: ويعيد الدكتور سلطان المعاني كلمة(كفر)العربية إلى جذور أكادية(كفرم)، وقد تكون كنعانية أو آرامية(كفرا)، والأرجح أنّ اسمها آرامي من كلمتين هما(كفر ربا) وخُفِّفت مع مرور الوقت؛ لتكون(كثربا) أي المدينة الرئيسة.

عينون : يقول ياقوت: "عَينون بالفتح كلمة عبرانية جاءت بالجمع(سلامة العين)، وهذا لا يجوز في العربية، وهو بوزن هينون ولينون"، ولكنّ د. سلطان المعاني يُعيدها إلى الاسم الكنعاني أو الآرامي وليس العبراني؛ لأنّ نهايته هي النهاية المكانية المعروفة عند الكنعانيين، أو علاقة التصغير عند الآراميين، فاسمها يعني الينبوع أو العين في اللغة الكنعانية، والعين الصغيرة في اللغة الآرامية.

فقوع : وتعود تسميتها إلى سنة (1868) حين زارها المستشرق الفرنسي(دي ساولسي) الذي تحدث عنها وذكرها بهذا الاسم، أمّا الدكتور سلطان المعاني فيقول إنّ اسمها كنعاني أو آرامي ويعني المكان المنخفض.

صرفا: وأطلق عليها الرحالة الأجانب أمثال(ستيزن، وبيركهارت، وموزيل، وبالمير) أسماء قريبة من(صرفا)، واسمها كنعاني جذره(Srp) ويعني "كرّر" أو "صفىّ" أو "أذاب"، و"صرف" عند ياقوت (بفتح الصاد والراء صَرَفا) يوافق الاسم الآرامي(Serapa)، والكلمة الآرامية تعني مكان التعليم وسكّ العملة.

اِمْرع: وذكرها (بيركهارت وموزيل) بلا ألف، وسمّاها جلوك(مراع)، والاسم كنعاني أو آرامي ويعني (الكلأ والعشب) ويلفظها الأتراك هكذا(ءمرع).

الحسينية: اسمها القديم رجم الصخري.

الخالدية: اسمها القديم ام زباير، والزباير هي التلال الصغيرة.

العمرية: اسمها القديم (إذْليقة).

الطيبة: واسمها القديم (خنزيرة، أو خان زيرا أو خان زينا).

الهاشمية: واسمها القديم الدويخلة.

راكين: وهو اسم آرامي (Rakin) بمعنى المنحدر، وربما تكون هي(رقوقين) التي ارتبط اسمها بمعركة مؤتة.

عي: ورد اسمها في خريطة مادبا الفسيفسائية هكذا(، (ay وذهب د. سلطان المعاني إلى أن عي هي(ATA) أنقاض خربة، معتمداً على كتاب (ويليام بوري).

مرود: ذكر د. سلطان المعاني أنّ اسمها يعود إلى مكان (التجول والتطواف)، وقد يعود إلى زمن معركة مؤتة، ومن معنى ورود الماء.

الياروت: بحث د. سلطان المعاني في البنية الصرفية للاسم وأشار إلى أنّه من الساميات.

الموقع الجغرافي:

يتفق الباحثون في العصر الحديث على أنّ موقع مدينة الكرك الحالي هو هذا الامتداد الجبلي خارج أسوار القلعة وما صاحبه من انفجار عمراني باتجاه الشرق.

أمّا حدود منطقة الكرك بوصفها محافظة في العصر الحالي فتقع بين وادي الموجب شمالاً ووادي الحسا جنوباً وبين البحر الميت غربًا وسكة حديد الحجاز شرقًا، وتقع بين خط الطول(30 ، 45 ، 25) ودائرة عرض(31 8 20) على مساحة تقدر ب(2850) كيلو متر مربع، ومعدل ارتفاع عن سطح البحر ب(1100) مترًا، وتنحدر باتجاه البحر الميت إلى حوالي (400) مترًا تحت سطح البحر، وتتميز بوجود أربعة جبال فيها، متفاوتة الارتفاعات ،وهي: "جبل الضباب" بجوار بلدة "الطيبة" (1300) متر ،ويطل على وادي الحسا، و"جبل شيحان" (1063)مترًا بجوار قرى العمرو وقرى الحمايدة، ويطل على وادي الموجب، و"جبل الحباشنة" (1093) مترًا غربي راكين، و"جبل الراس" (1236) مترًا غربي الطيبة.

إنَّ استواء بعض المساحات على هضبة الكرك كان سببًا في احتفاظها بأغطيتها من التربة الحمراء ؛ ممّا يوسع رقعة الأراضي العالية المستغلة في زراعة الحبوب، وأما إذا اتجهنا إلى الغرب فسنلاحظ التضرس الشديد، وتشكل الأودية والأخاديد والخوانق المتسعة المتهدلة في انزلاقات صخرية متتابعة شديدة الخطورة.

ما يميز هضبة الكرك ميلها باتجاه مناطق البادية إلى مدى (30)كم ؛مما يساعد على انسياب مياه الأمطار شرقًا إلى المدى المذكور قبل أنْ ترتد إلى الغرب وتبتلعها الأودية ومسايل المياه التي تقذفها إلى البحر الميت، وتؤهل هذه الميزة الطبيعية منطقة الكرك؛ لإنشاء العديد من السدود ؛لاستيعاب آلاف الأمتار من المياه المكعبة التي تذهب هدرًا.

تتنوع التربة في منطقة الكرك بين كلسية، وصفراء، وحمراء، ورملية إلى مسطحات طينية شبه مالحة في الأغوار الجنوبية التي تنمو فيها أشجار الطرفاء، والدوم، والسنط، والغردق، وثبت في العقود الأخيرة صلاحية الأراضي الواقعة على حافة البحر الميت للزراعة إذا ما عُولجت بأساليب الري الحديثة.

أمّا التربة في بعض مواقعها على الهضبة؛ فهي خفيفة ولا تصلح إلاّ لزراعة القمح وبعض الحبوب، وفي المناطق شبه الصحراوية تُزرع بعض أنواع الحبوب كالشعير بسبب قلّة مياه المطر، وتذكر المصادر التاريخية أنَّ هذا الجزء من منطقة الكرك غطّته الغابات بمساحات كبيرة غير أن التحطيب الجائر من المواطنين أتلف الكثير منها، وأن الأتراك أتلفوا معظمها عندما استخدموا الخط الحديدي الحجازي.

يوجد في الكرك عدد من الأودية مثل: "وادي الموجب" و "وادي الكرك" و "وادي الغوير" و "وادي النوايسة" عند عينون، وعند الحارثية، و "وادي صليلة وصلول"، و"وادي الحنو" في "محي"، وأوديه "المويرة"، و"الحبيس"، و"غزوان"، و"الفج ونخل"، و"الحفاير" و"الشقيق" و"وادي ابن حماد" و"وادي أبو العجيل" و"وادي أم خشبة" و"الزغيرة" و"وادي حمدونة" و"وادي عين العمال" و"وادي وهيدة" و"وادي الدبة" و"وادي إطْوي"، و"سيل جديرا"، و"سيل نميرا"، و"سيل القراحي".

أمّا عيون الماء فهي كثيرة، ومنها: "عين الإفرنج" في "الشهابية"، و"عين سارة" ،و"عين الست" في مدينة "الكرك"، و"عين الحجاجي" قرب "فقوع" ، و"عين البولع" شمالي بلدة "السماكية"، و"عيون العراق"(المغيسل، والقلعة، وفلاحة)،و"عيون العينا"(اليهودية، والمغيسل) و"عين اللجون" عند موقع "اللجون "و"عين المرعي" غربي "صرفا"، و"عين مسلم" في محيط بلدة "كثربا"، و"عيون وادي الكرك"(الصفصافة، وأم بجاج، والكلاب) و"عيون الطيبة" و"عيون جوزا" و"عيون قرى الخرشة" و"عيون راكين".

أمّا الخامات المعدنية في منطقة الكرك؛ فأشهرها موجود في البحر الميت، الذي يعد كنزًا من الخامات وعلى رأسها البوتاس، والملح، وتبذل شركة البوتاس حاليّا جهودًا كثيرة؛ لاستثمار أملاح البحر الميت ومعادنه كالمغنيسيوم، والبوتاس، والبرومين ومشتقاته، والصوديوم، والكبريت، فضلًا عن وجود مقالع الحجارة والرخام التي اكتشفت بكميات إنتاجية في منطقة "بذّان".

أمّا مناخ الكرك(الحرارة، والأمطار، والرياح، والرطوبة النسبية)فإنَّ المعدل السنوي لدرجة الحرارة العظمى يصل إجمالاً إلى (23)مْ ، ومعدل الصغرى يصل إلى(8)مْ ، وهذا يشير إلى أن الجو في منطقة الكرك مشمس في معظم أيام السنة، وتمتد الفترة المطرية في الكرك من شهر أيلول حتى منتصف نيسان، وتتركز فترة الهطول في أشهر(كانون أول وكانون ثانٍ وشباط)، وتشمل هذه الفترة أربعينية الشتاء التي تبدأ من الثالث العشرين من كانون الأول حتى الثالث من شباط، وهي من المواسم المعروفة عند أبناء الكرك خاصة، والأردن عامة، وتتسم بالبرودة الشديدة ونسبة عالية من سقوط الأمطار ونزول الثلج، أما فصل الربيع فهو جميل في الكرك رغم قصر فترة الاخضرار، وفصل الصيف جاف، في حين يمتاز فصل الخريف بمزاجه المتقلب ويتراوح بين الجفاف والبرودة، وزوابع الأتربة ونزول المطر أحيانًا.

الكرك عبر التاريخ:

تمهيد:

تشير الآثار المكتشفة في بعض مناطق الكرك إلى أنَّ تاريخ هذه المنطقة أقدم ممّا أوردته المصادر التاريخية المعروفة، ويظلُّ الأمرُ مرهونًا بما يُكتشف من معلومات وحقائق من هذه الآثار.

ترى المصادر التاريخية أنّ ما اكتُشِف في الكرك حتى الآن يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وبينت الحفريات الأثرية التي تُجرى في مناطق عدة في الكرك أن ثمة حضارة زراعية متقدمة تعود إلى حوالي (2400) سنة ق.م، اختفت فترة من الزمن ثم ظهرت سنة (1800) ق.م، وتؤكد هذه المصادر أنّ الوجود الإنساني في الكرك بدأ في الظهور في العصر الحديدي سنة (1200) ق.م وأن أقدم من عُرف من سكان المنطقة هم الأموريون ثمّ المؤابيون.

فترة ما قبل المؤابيين (2400) ق.م:

تُجمع كثير من المصادر التاريخية على أنّ منطقة مؤاب " الكرك" وقعت تحت حكم المملكة الأمورية التي ظهرت بعد أنْ خرجت من بلاد الرافدين إلى سوريا ثمَّ تمددت جنوبًا إلى مؤاب، ومن الأموريين عُرفت القبائل الإيمية التي تزامن ظهورها مع ظهور المؤابيين الذين قدموا أيضًا من سوريا وفق ما تروي بعض المصادر.

وكان الإيميون بدوًا بسطاء، ويحرصون على توفير المراعي لمواشيهم، ويرى بعض المؤرخين أنهّم كانوا يسكنون حول البالوع التي كانت تسمى(إيمية).

ومع مرور الزمن، اندمج المؤابيون مع الإيميين فصارا كلًا واحدًا، وغدت الغلبة لأكثرهم عددًا وأشدهم ذكاءً وهذا ما تميّز به المؤابيون، ومن هنا بدأ نجم مملكة مؤاب بالبزوغ.

مملكة مؤاب (1200-646) ق.م:

وعدَّت مملكة مؤاب حلقة وصل بين الشام ومصر والحجاز، وكانت معبرًا مهمًّا للقوافل والغزاة، و قد بلغت أوج قوتها زمن الملك ميشع الذي خلّد أشهر أعماله على الحجر الذي عُرف ب"نقش ميشع" سنة (842)ق.م.

وقد شقّ ميشع طريقًا مهمًا سُمّي ب"الطريق السلطاني"، ويعبر هذا الطريق وادي الموجب ويربط شمالي الأردن بجنوبه.

وورد في نقش ميشع: " أنا ميشع بن كموشيت ملك مؤاب الذيباني، أبي ملك على مؤاب ثلاثين سنة وأنا ملكت بعد أبي وأنشأت أهرامًا لكموش، ولقد بينت ذلك لأنّ كموش أعانني على قهر كلّ الملوك"، وبُنيت قلعة الكرك سنة (860) ق.م ومساحتها تُقدّر ب(25.300) ألف متر مربع.

حقبة الأشوريين والبابليين (646 – 586) ق. م:

هاجم الآشوريون والبابليون مدينة الكرك (646 – 586) ق. م بقيادة الملك الآشوري (بانيال) عام (646) ق. م، ومن بعد الأشوريين هاجم البابليون الكرك بقيادة (نبوخذ نصّر) الذي عقد معاهدات مع ممالك الشرق لمرور القوافل التجارية من أراضيها، وحين تحالف المؤابيون مع مصر ضد المملكة البابلية، جهز نبوخذ نصّر ملك بابل حملة ضد هذا الحلف، واحتل الطرق المؤدية إلى مصر، وسيطر على القدس سنة (586) ق. م، ثمّ زحف إلى كلٍّ من المملكة المؤابية، والمملكة العمونية، وحمل بعضًا من سكانها معه إلى بابل، وفرّ الآخرون إلى مصر.

وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد، تلاشت مملكة مؤاب ولم يعد لها ذكر، وضُمَّت أراضيها إلى مملكة الأنباط.

الأنباط في الكرك (586 ق.م 106 م):

شكّلت الكرك جانبًا مهمًّا من حضارة الأنباط الذين قهروا الجيش اليوناني الغازي في المعركة التي وقعت في منطقة مؤتة في عام (87) ق. م.

ظلَّت الكرك تحت حكم الأنباط، وهذا ما تدلُّ عليه التماثيل النبطية المكتشفة، وتمثال الفارس، والفخار النبطي الذي اكتُشف في قلعة الكرك.

وتعدُّ بلدة ذات راس جنوبي الكرك بلدةً نبطية بمعالمها الأثرية مثل معبد "قدس الأقداس" المعروف بقصر البنت، وتشير كلمة (ذات راس) إلى صلتها بإله الجبال (ذو الشرى) وكلمة راس تعني الجبل.

ودلَّ على وجود الأنباط في الكرك اكتشاف العديد من القطع النقدية النبطية داخل أسوار القلعة، ومن هذه القطع المكتشفة وجدوا على وجهها الأول صورة "تراجان" مكلَّلًا بالغار مع ألقابه، وعلى الوجه الآخر صورة فتاة تمثل بلاد العرب، وبجانبها جمل، وكُتب تحت هذه الصورة ما يثبت وجود العرب، وهذا يدلُّ على وجود آثار نبطية في الربة، والقصر، والسماكية، ونخل، وأمّ حماط.

الحقبة الرومانية والبيزنطية (100 – 636) م:

سبقت سيطرة الرومان على المنطقة حملات فارسية ويونانية دحرها الأنباط، وتيقن الرومان أنَّ منطقة الشرق التي تتوسط العالم مهمّة لهم موقعًا وموارداً، وعزمت على احتلالها بحرًا وبرًا، فسيطروا على منطقة الكرك عام (100)م، وفي عام (130) م افتتح الإمبراطور(هادريان) طريق النصر الممتد من سوريا إلى العقبة مرورًا بالكرك، وعُرفت هذه الطريق فيما بعد بطريق تراجان أو طريق الملوك.

وبقيت المدينة في فترة الغساسنة ذات دور مهم بوصفها خط دفاع أولي للإمبراطورية البيزنطية، وقد تركّز الوجود الغساني حول الكرك، وتشهد معركة مؤتة التي وقعت في السنة الثامنة للهجرة الموافق لسنة (629)م على كثافة هذا الوجود.

الكرك في العهد الإسلامي (الخلفاء الراشدون والخلافتين الأموية والعباسية من 629م/الثامنة للهجرة – 923 هجري/ 1517 م):

تُعد معركة مؤتة التي وقعت في السنة الثامنة للهجرة الموافق لسنة (629) م فاتحة العهد الإسلامي الذي شمل بلاد الشام كلَّها، ومع الانتصار الحاسم في معركة اليرموك أصبحت هذه المنطقة كاملها ضمن هذه الحقبة.

وأظهرت مجموعة من المصادر التاريخية أن الصحابي أبا عبيدة عامر بن الجراح مرّ من منطقة الكرك والربَّة وهو في طريقه إلى اليرموك ،وأعلنت ولاءها له دون قتال، وفي العهد الأموي دخلت الكرك في زوايا الإغفال إلّا من وجود بعض الأمراء الذين أُكتشفت لهم آثارٌ وقبور وقصور، فقد كشفت الحفريات الأثرية في منطقة الحوية جنوب مدينة الكرك عن وجود قبر أمير أموي، و أسفرت هذه الحفريات التي أجراها قسم السياحة والآثار في جامعة مؤتة عن اكتشاف قصر أموي في منطقة شقيرا الغربية، بجوار بلدة ذات راس، ومن ضمن المكتشفات في هذا الموقع: تاجية رخامية، وأعمدة جرانيتية، ورخامية، وأرضية فسيفسائية للرواق الجنوبي من القصر المطلِّ على وادي الحسا.

ومن الثابت تاريخيًّا أنَّ الدولة الراشدية ابتدأت سنة(11هجري _41هجري) الموافق (631–662م)، والخلافة الأموية(41–132هجري) الموافق(662_750م)، والخلافة العباسية(132هجري – 750هجري) الموافق (750–1258م).

الكرك في الفترة الفاطمية (909–1171م):

تُجمع المصادر التاريخية على أنّ الفاطميين أول من اعتنى بأضرحة الصحابة في المزار الجنوبي، وبنوا عليها مقامات وكتبوا لوحات حجرية تشهد على ذلك، وهي موجودة في جامعة مؤتة، والمتحف الإسلامي في المزار، وتذكر هذه المصادر أنّ القائد الفاطمي من أصل تركي (بلتكين) قد جعل قلعة الكرك إقطاعًا له سنة (372) هجري الموافق (982)م.

الكرك في الفترة الصليبية (492 – 670هجرى (الموافق) 1090م – 1291م):

بدأت الحملات الصليبية تتغلغل في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ابتداءً من سنة(492هجري –1099م)، وأسَّست لها مملكة في بيت المقدس سنة(492هجري _1099م)، ودخل الصليبيون في صراع طويل مع الدولة العباسية القائمة آنذاك ممثلة بالسلاجقة،والدولة الفاطمية ،وبعض الكيانات السياسية المنتشرة في هذه البلاد.

وتمدَّد الصليبيون في معظم أقاليم بلاد الشام، وتمكنوا من تأسيس إقطاعية في الشوبك، وفي الوقت نفسه كانت عينهم على الكرك خاصة بعد ظهور الأتابكية الزنكية في شمال العراق وسوريا، وحسب لها الصليبيون ألف حساب حينما كانوا يراقبون تمدد الزنكيين إلى بلاد الشام، فما كان من الملك الصليبي الأنجوي إلا أن يأمر باحتلال الكرك والسيطرة عليها سنة(537هجري –1142م)، فتولى حاكم الشوبك(باجان الساقي) هذه المهمة، وتمت السيطرة على قلعة الكرك، ومنطقة شرقي البحر الميت، وأُطلق على المنطقة الجديدة(بارونية الكرك)، وكانت أول أعمال (باجان) إعادة بناء القلعة وتهيئتها للدفاع عن الفرنجة.

ودخلت الكرك في حقبة من الصراع بين الصليبيين من جهة والفاطميين، والزنكيين، والأيوبيين من جهة أخرى، إلى أنْ حُرِّرَت من قبضة حاكمها (إرناط) بعد معركة حطين سنة (1187)م، وكانت الحملة العسكرية التي توجهت إلى حطين قد انطلقت من الكرك.

إمارة الكرك الأيوبية (1188–1262م):

تأسست هذه الإمارة بعد الانتهاء من معركة حطين؛ إذ بدأ الملك العادل منذ (1188)م يتثبت أركان هذه الإمارة بإعادة ترميم قلعة الكرك وتحصينها وخاصةً بعد احتلال الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا مدينة عكا (1191)م وكان ذلك متزامناً مع بداية الحملة الصليبية الثالثة.

وبعد تسلم الملك العادل إمارة دمشق لحظة موت أخيه صلاح الدين الأيوبي أناب عنه في إمارة الكرك ابنه الملك المعظم عيسى منذ (1195)م، الذي عني بصيانة عيون الماء، وشؤون الزراعة، وتوطين المتنقلين من أهل المنطقة، وإعادة الحِرفيين والصياغ إلى المدينة، وصيانة القلعة والأبراج والأسوار، وحماية خطوط التجارة بعد رحيل الصليبيين والاهتمام والسيطرة على الأمن.

كانت القلعة المكان الآمن لإيداع الأموال وما يمتلكه ملوك الأيوبيين، وبعد حين من الزمن ورث الملك الناصر داود إمارة الكرك وواجه الحملات الصليبية المتكررة، وساند أبناء الكرك الملك الناصر في المواجهات كلّها خاصة تحرير القدس مرة أخرى.

وفي عهده ،صارت الكرك قبلة العلماء والشعراء والأدباء وعقد لهم مجالس علمية وأدبية، ومن بينهم المؤرخ سبط ابن الجوزي، والشيخ عبد الحميد النحوي، وجمال الدين بن الحاجب.

شملت إمارة الكرك الأيوبية مناطق: الكرك، والشوبك، والسلط، والبلقاء، وبعد وفاة الملك الناصر داوود وانتهاء حكم الأيوبيين في مصر على يد المماليك استلم الملك المغيث عمر بن السلطان الملك العادل الثاني سنة(1250م)، وحينما التجأ فرسان المماليك البحريّة إلى الكرك بزعامة الأمير بيبرس، حاول الملك المغيث مع هؤلاء الفرسان هزيمة المماليك المعزيّة في حملتين خلال السنتين (1257م)و (1258م) ولم يوفَّق، وفي الوقت نفسه، أصبحت الكرك في هذه الفترة ملاذًا للثوار الذين تحشدوا لمواجهة المغول بعد سقوط بغداد، ودمشق، وشارك جيش الكرك في معركة عين جالوت سنة(1260م)، ومن هذه المعركة أصبحت إمارة الكرك تابعة للمماليك في مصر. وفي سنة(1262م) انتهى حكم الأيوبيين للكرك، وتسلَّمها الملك الظاهر بيبرس من الملك المغيث.

مملكة الكرك(1262–1382م):

استولى الملك الظاهر بيبرس على الكرك في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة (661ه –1262م)، وأمر بصيانة القلعة، وزيادة تحصيناتها، وترميم أبراجها ومدارسها، وعيَّن نائب السلطان؛ ليكون أمير الكرك، وبعد وفاة الظاهر بيبرس سنة (1277م) استلم الحكم ابنه الملك السعيد.

عاشت الكرك عصرًا من الصراعات بين ملوك وأمراء المماليك في هذه المملكة وفي مصر، فكان الملك السعيد والملك مسعود في صراع مع السلطان المنصور قلاوون في عام (1288م)، ورغم هذه الصراعات شهدت الكرك اهتمامًا كبيرًا في التعليم، وصيانة القلعة، والمشاركة بطرد الفرنجة من عكا. وكان ذلك في عهد السلطان الأشرف خليل سنة(1291م)، واستلم السلطنة بعد ذلك الملك الناصر محمد سنة(1292م) بعد مقتل والده السلطان الأشرف خليل، ولأنه صغير السن؛ خُلع من الحكم، وأرسل إلى الكرك ليمارس حكم السلطنة منها حتى عام(1308م)، وأولى الملك الناصر محمد بالكرك طوال حكمه للسلطنة من سنة(1310–1340م)، فأولى عنايته القلعة ومقام جعفر، فقد بنى بهادر البدري نائب السلطان

الناصر محمد على الكرك والشوبك سنة(727ه 1326م) مقام جعفر وخلّد عمله هذا بلوحة حجرية مثبتة على عتبة باب المتحف الإسلامي في المزار.

وشهدت مملكة الكرك في عهد المماليك البحرية(1340–1382م) وبعد وفاة السلطان الناصر محمد ومن تبعه من السلاطين والأمراء، شهدت عدم استقرار سياسي ووقف أبناء الكرك مع السلطان الناصر أحمد وأعادوه إلى السلطنة في مصر.

أمّا دولة المماليك الجراكسة التي بدأت حكمها من (1382–1516م)؛ فقد أعطت الكرك اهتمامًا بالغًا؛ إذ حينما خُلع السلطان برقوق ونُفي إلى الكرك وجد عند أبنائها الوفاء الأصيل والاهتمام به، فنصروه وبايعوه، وساروا معه إلى القاهرة واستعاد عرشه من سيطرة خصومه.

وبعد وفاة برقوق كثرت الفتن والحروب، وأثَّرت في السلطنة ومملكة الكرك، وبقي الأمر على حاله من التدهور حتى سقطت بيد الأتراك عام (1516م) في معركة مرج دابق.

الكرك في العهد العثماني (1516–1916):

خضعت الكرك للسيطرة العثمانية بعد انتصار الأتراك العثمانيين في معركة مرج دابق)1516م (على المماليك.

وتم تأسيس لواء (الكرك والشوبك) ومركزه الكرك ويتبع ولاية دمشق، وتغيرت تبعية الكرك مرارًا من ولاية (صيدا وبيروت) إلى غيرها، إلى أنْ تبعت ولاية دمشق، وضمَّ اللواء مناطق السلط، والبلقاء، والشوبك، ومعان، وتبوك، ومدائن صالح.

ونتيجة الفوضى التي عاشتها الدولة العثمانية بسبب الحروب والصراعات تأثرت الكرك كثيرًا وظهر أثر هذه الحالة، فانعكست سلبًا في عمرانها وزراعتها، ومظاهر الحياة فيها كافة، إلّا أنّ المؤرخين والحجاج الذين مرّوا من الكرك شهدوا أنّ الكرك عامرة بالمنتوجات المتنوعة، وظلّت سيطرة الخلافة ضعيفة على الكرك إلى أنْ استولى عليها إبراهيم باشا المصري سنة (1830م).

وبقيت الكرك تحت سيطرة إبراهيم باشا من سنة(1831–1840م)، وشاب فترة حكم إبراهيم باشا الظلم والبطش، لكنَّه تركها؛ فأصبحت ملجأ للثوار ضدَّ ظلم هذه السلطة، ومن هؤلاء الثوار الشيخ قاسم الأحمد الزرعيني، وقد جرد إبراهيم باشا حملة جديدة للسيطرة على مدينة الكرك، لكنَّه خرج منها سنة (1840م)، وعادت المدينة للحكم العثماني، فشكِّل لواء الكرك سنة (1864م) ويتبع ولاية دمشق، وضمَّ مناطق: (السلط، والطفيلة، ومعان) وعددًا من النواحي مثل: (ذيبان، والعراق، الجيزة، وتبوك ،ومدائن صالح)، وفي سنة (1893م) أُسِّست بلدية الكرك.

ثورة الكرك 1910م

في المرحلة الأخيرة من العهد العثماني؛ صار الحكم بغيضًا ظالمًا في البلاد العربية؛ إذ اتَّبع الحكَّام الجدد من جمعية تركيا الفتاة سياسة تتريك البلاد؛ ممَّا أدى إلى قيام عدد من الثورات في الولايات العثمانية ضدَّ هذه السياسة، ومنها ثورة الكرك سنة (1910م) التي كانت نتيجة منطقية للظلم والبطش، وزيادة الضرائب على أهالي الكرك، وتطبيق قانون الخدمة الإجبارية.

وحدثت الثورة في أواخر سنة (1910م) وقادها الشيخ قدر المجالي ومعه عدد كبير من شيوخ العشائر الذين وقفوا ضد سياسات الأتراك الظالمة، إلّا أنَّ الأتراك أجهضوا الثورة ونكلوا بالأهالي وأعدموا بعض قادتهم في دمشق وفي قلعة الكرك.

ورغم ذلك بقيت الثورة علامة فارقة في تاريخ الكرك المناوئ للظلم والداعم للحرية، وفي تاريخها الحديث الفخر بقادة الثورة والتغنّي ببطولاتهم.

منذ انتهاء الثورة تواصل أبناء الكرك مع أشراف مكة المكرمة ليخلصوهم من الظلم التركي، وولدت الثورة العربية الكبرى سنة (1916م) بقيادة الشريف الحسين بن علي.

الكرك في العهد الهاشمي 1921م حتى الآن:

تُعدّ الكرك من المدن التاريخية المهمة في العهد الهاشمي، وقد مرَّت هذه المنطقة بسيرة حضارية تاريخية عظيمة كانت فيها مملكة زمن المؤابيين، وإمارة زمن الأيوبيين، ومملكة زمن المماليك، فهي حقًا أمّ المدن الأردنية وشيختها لتاريخها المجيد، فضلًا عن هجرة الأحرار والثوار إليها، واستيعابها العلماء والأدباء والمفكرين والسياسيين، ووقوفها التام لنصرة القضية الفلسطينية منذ كانت.

تُعدّ القلعة من معالم الكرك المهمة، ثم مدرستها التاريخية، ومقامات الصحابة في المزار، ومشهد معركة مؤتة، ومقامات النبي نوح، ويوشع بن نون، والخضر، وكهف لوط في الأغوار الجنوبية، وطواحين السكر في غور الصافي، ومقام زيد بن زين العابدين في الربّة.

وللكرك مصطبة في إحدى ساحات المسجد الأقصى؛ فلا عجب أنْ تُجيّش الجيوش مرتين منها لتحرير القدس من دنس الفرنجة الغزاة.

مدينة الكرك هي مركز محافظة الكرك وتضم حاليًا ثمانية ألوية هي: (القصبة، والمزار الجنوبي، والقصر، وفقوع، وعي، والقطرانة، والأغوار الجنوبية، ومؤاب)، وشهدت في العهد الهاشمي نقلات نوعية في تنمية التعليم، والاقتصاد، والامتداد العمراني، والاهتمام بالمرأة، والشباب، وبناء المراكز الثقافية، والشبابية ،وتوفير وسائل التطور والاتصال والمواصلات، ومن أهم ما يميزها تأسيس جامعة مؤته بجناحيها العسكري والمدني ،وكلية مجتمع الكرك، وشركة البوتاس العربية في الأغوار، والمدينة الصناعية، والإعمار الهاشمي لأضرحة الصحابة في المزار.

الكرك مدينة عظيمة ومنطقة كريمة، وأهلها من أكرم الناس أصولًا وأعظمهم التزامًا وانتماءً إلى الدولة الأردنية

وهم من السبّاقين إلى مناصرة قضايا الأمّة وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وهي حقًّا منطقة تستحق الذكر والإشادة تاريخًا وحاضرًا، محليًّا وعربيًّا وإنسانيًّا.

السردية واليوبيل الفضي لجلوس جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين على العرش

عملت مديرية ثقافة الكرك على تنفيذ خططها، وبرامجها، انطلاقًا من استراتيجية، وخطط وزارة الثقافة، وتحت مظلتها، حيث شهد قطاع الثقافة منذ تسلم جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين سلطاته الدستورية، نقلات نوعيّة وكميّة كبيرة، وتطوّرًا، وازدهارًا، في مناطق المملكة كافة، فازداد عدد مديريات الثقافة، والمراكز الثقافية المؤهّلة، ومنها مركز الحسن الثقافي في الكرك، الذي افتتح سنة (2000م)، وأنشأت الكثير من الهيئات، والأندية، والمؤسسات الثقافية المختلفة، وتعززت البنى التحتية، مما زاد في مساحة مشاركة كل فئات الشعب، وخاصة الشباب، والمبدعين، في النشاطات، والفعاليات الإبداعية، وزادت الإنجازات التي تنسجم والسردية الوطنية الأردنية، لمواكبة الرؤى الملكية، التي على رأس أولوياتها، توفير كل ما يمكن لتعزيز الإبداع، والمشاركة الأردنية، في معظم الأنشطة، والبرامج، والمهرجانات الثقافية المحليّة، والدولية، التي يُعَدّ مهرجان مؤاب الشعري، من أبرزها.

وأولَت مديرية الثقافة مزيدًا من الاهتمام بالتراث، والوثائق الوطنية، جمعًا، وتوثيقًا، وتابعت الاهتمام بالمكتبات، ورفدها بكل ما يثريها، ويمكّنها من أداء رسالتها، وواصلت تسليط الضوء على المتاحف، وما تختزنه من تراث، وسيرة حياة.

تابعت المطبوعات، والنشر، ودعمت إصدارات المبدعين على اختلاف أنواعها كما تزايد الاهتمام بالتراث المادي، وغير المادي، وتم تسجيل الكثير من عناصر هذا التراث المتميزة، والمستحِقة، على قوائم التراث العالمية، بفضل الجهود والمتابعة، وحظيت الكرك بنصيب منها، حيث أُدرِجَت مدرسة الكرك الثانوية للبنين، على القائمة الرئيسة لمواقع التراث في العالم الإسلامي.

ازداد الاهتمام بالتكنولوجيا، وتدريب الشباب للتوظيف الأمثل لها، في جميع مناحي الحياة الحديثة، ومواكبة التطور المتسارع فيها.

كان لتعميم فكرة عاصمة الثقافة على محافظات، وألوية، وأقضية الوطن، الأثر الأكبر، في اندماجها في فعاليات، وأنشطة كثيرة، وإظهار أجمل ما لدى إنسانها من فكر، وإبداع، وإنجاز، فكانت الكرك مدينة للثقافة الأردنية في عام (2009م)، من ضمن مدن أخرى، وكان لواء الأغوار الجنوبية، لواء الثقافة عام (2018م)، ولواء المزار الجنوبي لواء للثقافة الأردنية للعام (2024م) ، متزامنًا مع هذه المناسبة الغالية في تاريخ الوطن.

كل ذلك، وغيره مما لا يتسع المجال لتفصيله أكثر، مما يقول إن سردية الإنسان، والزمان، والمكان الثقافية، مستمرة بفضل جهود المخلصين من أبناء الوطن، وسياسة الهاشميين عبر العصور، والتي شعارها، المقولة الخالدة، للراحل العظيم، (الحسين بن طلال رحمه الله)،" إن الإنسان أغلى ما نملك".

لوحة القلعة

أحسست بدفء المدينة مذ دخلتها، وبدأتْ أنفاس الأودية تحمل لي نداءات عرائسها، الطريق الصاعد يحملني إلى الواجهة الشمالية.. الحجارة الضخمة غير الملساء لغة صلبة، والفُرُجات من ثناياها عيون شاخصة، والشرفات أيدٍ مُلوّحة.

وقفتُ فوق منتصف الجسر الخشبي الذي سيوصلني إلى الباب الغربي للقلعة لأعبر منه إلى أحشائها، ما بين البابين الغربي والشرقي خندق عريض وطويل كان يُملأ بالماء بغرض الحماية، كما كانت ترفع الجسور القديمة للغاية نفسها.

دخلت القلعة وتجولت فيها ما بين الواجهة الشمالية المُطلّة على المدينة ثم واجهة برج الحِماء المُطلة على ضاحية الثلاجة.. وأطللتُ من الواجهة الغربية على واد سحيق يفصل القلعة عن بلدة الشهابية، وبلدات أخرى، وانتقلت إلى الواجهة الشرقية التي تطل على وادي إطْوي، والجسر، وضاحية المرج.

وتجولت في بعض طوابق القلعة ومرافقها والقاعة الناصرية.

بُنيت القلعة زمن المؤابيين بين عامي (٨٦٠ ـ ٨٤٠) ق. م، اما أبعادها فهي:

طول الواجهة الشرقية٢٢٠مترًا، وطول الواجهة الغربية ٢٤٠مترًا، وطول الواجهة الجنوبية ٨٥ مترًا، وطول الواجهة الشمالية ١٣٥ مترًا.

كانت القلعة قائمة قبل احتلالها من الصليبيين الذين أضافوا إليها بعض التحصينات سنة (١١٤٢م).

وحررها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة (١١٨٨م).

هي من أكبر قلاع الشرق الأوسط، وحكايتها لا تستوعبها مساحة قليلة.

لوحة مدرسة الكرك (أم المدارس)

غادرتْ القلعة، قلب المدينة يناديني، والمدينة بمثابة الحصن الذي يحتضن القلعة مثل أم رؤوم، للقلعة أبراجها وللحصن كذلك أبراجه الأربعة التي تتوزع على مواقع استراتيجية لحماية المدينة.

مررتُ بالجامع الحميدي، وهو أقدم مساجد المدينة، بني سنة (1906م) ثم إلى مقام الخضر، وإلى الجامع العمري الذي بني سنة (1920م) وتم الفراغ منه سنة (1942م) ثم تجولتُ في الحارة المسيحية التي تضم عددا من الكنائس مثل كنيسة اللاتين التي بنيت سنة (1898م)، وكنيسة الروم

الأرثوذكس التي بنيت سنة (1839م) والمدارس المسيحية القديمة مثل مدارس الروم الأرثوذكس(1847م)، البطريركية اللاتينية (1875م)، بنات الروم الأرثوذكسية(1898م)، ومدرسة بنات اللاتين(1906م).

وينتهي بي المسير إلى مدرسة الكرك الثانوية للبنين، وهي محاذية لبرج الحصن الشمالي الشرقي، وتواجه من الشرق (ضاحية المرج)، ومن الشمال تطل على الوادي ثم على السلسلة الجبلية الممتدة من منطقة (أبي حمور) شرقاً حتى المشارف الغربية التي تواجه البحر الميت. بنيت هذه المدرسة سنة (1893م) زمن السلطان عبد الحميد، وتتكون من طابقين يتوسطهما درجان، ولها ساحة داخلية سماوية، وللمدرسة سبع وعشرون نافذة.

تخرَّج من هذه المدرسة كبار القادة، والساسة، والعسكريين، والمفكرين، والأدباء، والتربويين.

وتعلو شرفة الطابق الثاني لوحة حجرية عليها الطغراء العثمانية وتحتها أبيات من الشعر أذكر منها البيت الأول والأخير:

مدرسة لكسب الفضل بحن الوضع كالقصر المشيد

بشير العلم قد أرخت" نادي بظل مليكنا عبد الحميد

إضاءات ثقافية

الثقافة في الكرك

من تاريخ عالية الجناب العريق، وخصوصيتها بين المدن، ومن عيون مائها، وحقول قمحها، ودروبها، وأحجارها، وشحوب الشمس عند الغروب، وهي تودع قلعتها، ومن حكاياتها، وإنسانها، ورجالها، ونسائها، ومواقف العزّ، والفخار عبر العصور، ومن ميشع، الملك المؤابي الكركي، ونقش حجره، ومن الأنباط، ونقوشهم، وحجارتهم وشواهدهم الماثلة إلى اليوم حيثما وجهت وجهك، من الجنوب إلى الشمال، ومنذ الحضور الإسلامي عبر مؤتة الشهادة والفداء، وقادة الفتح، وشعرهم، وفصاحتهم، وبلاغتهم، ومنذ أن أنشأ الناصر داود، أول خزانة للكتب، فيها كتب قيّمة في الطب والفلسفة، ومنذ أنشأ العثمانيون المدرسة الرشيدية، وبنوها في طراز معماري فريد، ما زال يزين خاصرة المدينة، إلى اليوم فيما يُعرَف ب(مدرسة الكرك الثانوية)، وسمحوا بتأسيس (مدرسة اللاتين)، ومنذ عهد الإمارة والتأسيس، والأمير الشاعر، المثقف، (عبدالله الأول ابن الحسين)، والكرك تشهد حراكًا ثقافيًا، استمد أبناؤها جذوته من كل ما سبق، ومن شعورهم القومي، الذي كانت تؤججه الحركات القومية خارج الحدود، يتفاعل معه الكركيون النجباء، المنفتحون على كل ما يمكن أن يعزز تلك الثقافة لديهم، فخرج من رحمها أدباء ومبدعون، كما أسهم تأسيس المزيد من المدارس، والجامعات، في ازدهار حركة التجمعات الثقافية، عبر النوادي، والمنتديات، والمنابر الكثيرة، التي تلعب دورها التنويري التثقيفي، على وفق ما رُسِم لها من أهداف، وما هيأته لها وزارة الثقافة، الراعي الرسمي، من كل سبل النمو، والتقدم، بهدف ترجمة أهداف الدولة العليا، التي ترفع شعار الإنسان أغلى ما نملك، قولًا، وفعلًا.

تواصل هذا المدّ الثقافي بكل مكوناته، وأدركت مديرية ثقافة الكرك، بحسّها العالي، حاجات الناس، وما يحبون، وما يلزمهم من رصد، وسرد قصص الإنسان، والمكان، عبر موروث ثقافي عريق، وربط الماضي بالحاضر، والبحث عن المواهب، ورعايتها، وإظهارها، وإعلاء شأن أصحابها، كما أنها لم تنسَ الأماكن، فوضعت برامج تعيد لها الحياة، وتستنطق صمتها، فتشرع في سرد التفاصيل.

دأبت المديرية من خلال الكثير من الفعاليات، والبرامج، أن توقظ في المدينة العريقة، بعضًا من ذاكرتها، ومجدها، من خلال أنشطة شاملة، لم تستثنِ إنسانًا، ولا مكانًا، من الشمال إلى الجنوب، مرورًا بالوسط.

فمركز الحسن الثقافي، فضاء واسع للحرية المنضبطة المسؤولة، وكل يجد فيه ضالّته، فهذا ينثر أدبًا، وذلك يُشهِر كتابًا، وآخر يقرأ شعرًا، هناك طفل يرسم، ويوقّع على وجهه بألوان الفرح، وسيدة تصبغ قماشًا، وأخرى توشحه بمكنونات نفسها، حرفة كادت أن تنقرض، عادت للحياة من جديد، وأدوات أُزيل عنها الغبار تتصدَّر المكان، تروي مسيرة مضت، وانقضت، مطبوعات تقول، إن التاريخ لا يزوَّر، وتشهد عليه الأقلام الصادقة النبيلة، صور الراحلين من المؤثرين، وصنّاع الحياة، والتاريخ، مُعلّقة على الجدران، وفي القلوب، عود رنّان، وناي حزين، جرّة ربابة، وأصابع ذهبية ترسل النغمات شدوًا، وأنينًا، فيه أغنيات، وصمت، وتعاليل، ندوة هنا، ومحاضرة هناك، عرض كتاب، ومناقشة قضايا مهمة، سينما، ومسرح، فنون تشكيلية، مناهج، وتربويات، فيه تجلّيات المكان، والزمان، والإنسان.

يختزن ذاكرة الكرك، وتراثها، سير رجالاتها، وأسماءً خلّدها التاريخ، صورهم، وآثارهم، ومقتنياتهم، وبصمات تقول؛ كانوا هنا.

فضاء، يرنو له المثقفون من داخل الوطن، وخارجه، فضلًا عن المحافظة، وكل مدنها، وقراها، وحتى البوادي، ليحظَوا بفرصة تواجد فيه، مِنبرًا، يكتشف الإبداع، ويرعاه، وينشره.

فيه حياة تضجّ بتفاصيل المدينة تقول، إن الكرك ما زالت سيدة المدن، وحاضرة الفكر، والثقافة، والوجدان، وسيبقى، مكان، ومعلم حضاري، تلّوح له قلعتها من الجبل المقابل، تقول له؛ إنها تحتضنه، وتشهَد إنجازه، وترسل كل التحايا.

ولإيمانها بذاكرة المكان، وما تُحدِثه في الإنسان من أثر، وما تقدمه له من مواعظ، وعِبَر، لأنها الشاهدة الوحيدة على كل ما كان، عندما يذهب الناس، وتبقى هي، تحكي حكاياتهم، وتسرد ذاكرتهم، وتعين الأجيال على التشبث بالهوية، والتمسك بالجذور، ولإيمانها بكل هذا، أعادت المديرية للأمكنة في الكرك وهجها، وألقها، من خلال برنامج (وهج المكان)، الذي ارتحل لأبرز المعالم الدينية، والتاريخية، والسياحية، في المحافظة، ووثّق لها، وأعاد لها نبضها، فبدأ ب(القلعة)، وانطلق (لأخواتها من المعالم) تِباعًا، يستنطقها، ويصغي لأحاديثها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر؛(جبل شيحان)(المقامات، وأضرحة الصحابة الكرام)، (المشهد)، (قرية حمود، مدرسة، وسوق)، (باب الذراع)، (العراق أم الشهداء)،(عيون الماء في عيّ)...

ما بين الفينة والأخرى، يكون أهل الكرك على موعد مع فعاليات ثقافية، في معظم المناطق دون تمييز، ترصد وتسرد الكثير من عاداتهم، وتقاليدهم، أفراحهم، وأتراحهم، من (مطلّ الموجب)، في حضرة عشائر ذات مجد، وتاريخ عريق، ترسل التحية للأحبة في (مادبا)، أو في سفح (شيحان)،

وتلك السهول الخصبة، الشاهدة على مجد، وتاريخ، وإرث كبير، وحكايات قيم وأصالة، أو في رحاب (وادي ابن حماد)، والطبيعة الساحرة، والأيدي المعطاءة، والخير الوفير، أو في (القطرانة)، على أطراف الصحراء، وسِيَر الناس، ومواقفهم المشرّفة، أو في حضرة (القلعة) الشاهدة على حكايات الكركيين، وبطولاتهم، وتضحياتهم عبر العصور، من الألف إلى الياء بلا انتهاء، أو في سهول (مؤتة)، و(المزار)، تحفّهم أرواح (جعفر، وزيد، وعبدالله)، ويصغون لوَقْع سنابك خيلهم، وهي تنقل السرية الأولى، خارج الجزيرة العربية، تنشر رسالة الدين الخاتَم، أو هناك في (عيّ) التحدّي، والخصب، والعلم، والإصرار، أو في مؤاب، وتاريخ رجالاتها، ومسيرة نهضة إنسانها، عبر التاريخ، أو في (العراق) حيث ما زالت أرواح مائتي شهيد من أبنائها، تشهد على ذلك الظلم، أو في (خان زبيبة) (الطيبة) وتاريخ حافل، أو في (عينون)، و(الشهابية)، و(سيل الكرك)، وهي ترنو للقلعة، وتصغي لرسائلها، ولصوت الزمان، أو في (الأغوار)، تحفز الإنسان هناك، وتبارك ما أخرجت الأرض للناس من أرزاق.

استمدت الثقافة برامجها من واقع الناس، وذواكرهم، وما تركوه مرغَمين نتاج تغيُّر المجتمع، واكتظاظه بتفاصيل قد تذهب بذلك الإرث، ويأتي الرصد، والسرد هنا من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الأصيلة، دون زيف أو مغالاة.

ومن أجمل تلك الإضاءات كانت (التعاليل)، التي رصدت مسيرة الأماكن، والناس عبر تاريخ يحضر مكللًا بالغار، حتى الدور المهدَّمة، والساحات الفارغة، نالت حظها من الاهتمام، لتروي حكايات أهلها من العشائر الضاربة جذورها في الصخر، وملاحم الشهادة، والدفاع عن الأرض والعرض، تتغنّى بالأبطال من أبنائها، الذين بنوا لها مجدًا، وسدّوا الثغرات.

فهذا مؤرخ يرصد، ويسرد الأحداث، وذلك شاعر يؤدي فروض الولاء للوطن، وللقلب عبر الكلمة، والإحساس، والقافية، وذلك عازف عود تثير دندناته الحنين لكل ما كان، وفي التعاليل سامر يتغنى بعالية الجناب، ويذكّر برجالاتها الأشاوس، وهم يتحدّون

(يا سامي باشا ما نطيع).

وفي التعاليل امرأة تزهو بمدرقتها، تجلس مع أخوتها الرجال، لسان حالها يقول؛ هذا ولد عم، وهذا ولد خال، وذلك (نِجر) يتوسط المكان، ينتظر من يحركه، يرسل نغماته، فتنتشر رائحة القهوة تعطر الأرجاء، وقرع فناجينها يقول؛ يا هلا بالضيف، وبعض من طعام الجدات، وحلوى صنعتها أيديهن الطاهرة، قرص نار نفض عنه الرماد، يأتي فرحًا بعودته، وبساط موَشّى، ومنمنم، ما زالت أنامل الأمهات تهندس خيوطه لتكتمل اللوحة، يجلس عليه السُمّار، وبعض أدوات استُخدِمَت قديمًا، ما زالت شاهدة على تفاصيل حياتهم، وبساطتهم.

لو نطقت الحجارة، لتمايلت طربًا في حضرة العائدين إليها، يبعثون فيها الحياة من جديد، يلملمون أطراف الحديث، ويبررون أسباب الغياب، وينشدون القصائد على دندنة عود، أو جرّة ربابة، عبر (مهرجان مؤاب الشعري السنوي) في دوراته المتتالية، والثابتة، والذي أصبح مهوى أفئدة الشعراء من داخل الوطن وخارجه، وأصبح مهرجانًا مركزيًا.

مهرجان كبير، يُخطَط له بإحكام، ويحمل شعاراتٍ، وعناوينَ كبيرة، في الأدب، والثقافة، والفكر، والتاريخ.... ومضامين تناسب أهميته، وتميزه، وتؤكد الاهتمام بالمكان، وقصة الإنسان، فها هو يتألق تحت عنوان؛ (القلعة)، أو(مدرسة الكرك الثانوية)، ولم ينسَ فلسطين، وقلبها القدس الشريف، عبر عنوان، (الكرك والقدس توأمان)، و(اليوبيل الفضي لجلوس جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين على العرش).

مهرجان ينتظره الكركيون كل عام، وكأنه ضيف عزيز، يحتفون به، ويهيئون له كل ما من شأنه أن يقول؛ هنا الكرك، أرض المعترَك، والعيش المشترَك، حبيبة القدس، والتي يقيم أهلها صلواتهم على صوت مآذن الخليل.

كان لبرنامج (حوار مع مثقف)، وَقْع جميل في نفوس الناس، والذي يتحدث فيه المثقفون عن قضايا التراث، والتاريخ، والماضي، والحاضر، وتفاصيل أخرى تستحق الحديث، برنامج تم تسجيله، وإخراجه، وتصويره بحرفية، واقتدار داخل استديو المديرية الخاص، الذي أنشأته بجهودها، ودعم بعض المهتمين.

أما برنامج (حديث القُرى)، الذي رصد مسيرة حياة أهلها، وسلّط الضوء على بعض مقاطع، تستحق التوثيق من يومياتهم، وطقوسهم، تم توثيقها من خلال التصوير المتقن، والتسجيل الوثائقي الحيّ، بتميز وحرفية.

ومن خلال برنامج (حِرفَة وقيمة)، ترعى كل من لديه قدرة على الإنتاج، وتقديم كل عون، ومساعدة.

لم تترك مبدعًا، أو شخصية ملهِمَة، إلا وتناولتها عبر ندوات، وأمسيات خصصتها للحديث عنهم باستفاضة، تقديرًا لشخوصهم، ونتاجهم، وجهودهم.

كرّمت المبدعين، وخصصت جوائز لهم، واستقبلت مبادرات مجتمعية، تقدّم تلك الجوائز باسمها، إيمانًا منها بدور المجتمع المحلّي في دعم المبدعين، والمتميزين، في المجالات كافّة.

رعت، وأقامت معارض الكتب، والصور، والوثائق، ولم تنس (البازارات) لعرض، وتسويق، منتجات المجتمع المحلّي، لصالح المنتجين، بأنواعها كافّة.

اهتمت بتصوير الأفلام الوثائقية، للأماكن، والأحداث، والناس، ودرّبت عليها المهتمين، لإكسابهم المهارة.

وعت دورها، بأنها المظلّة الرسمية للمنتديات، والنوادي الثقافية، والبيئية، وقدمت لها كل ما يلزم للنهوض بها، وتمكينها من أداء رسالتها.

واصلت المسارات الثقافية، والسياحية، نشاطاتها، لتحقيق أهدافها، في اكتشاف المناطق، والترويج السياحي لها، ودعم العناوين الثقافية، مثل (مهرجان المثلث الذهبي)، برعاية دائمة من مديرية الثقافية.

تظهر مديرية الثقافة، في كل مفصل حضاري، وحدث ثقافي، وتنموي، وتربوي، فنراها تقدم كل إمكانياتها من أجل إنجاح مسيرة المدن الثقافية الأردنية، التي تبعث المدن من مرقدها، وتضيء سماءاتها لعام كامل، تستمر بعده الشعلة متقدّة، والإنجازات ماثلة للعيان.

أسابيع تفاعلية، تعرض فيها قضايا مختلفة، قومية، ووطنية، ومجتمعية، والكثير...

مكتبات متنقلة، وتفاعل مع نوادي الإبداع، وماراثونات قراءة، ورعاية وإشراك ذوي الاحتياجات الخاصة، بما يناسبهم من فعاليات، وثقافة تأتيك أينما كنت، وتوجّهت.

يحضر الفلكلور، في احتفالات المديرية، والمدارس المتعاونة، والمؤسسات، كرافد من روافد مكونات الهوية التراثية، والثقافية، عبر لوحات متقنة من الفرق الشعبية، والشباب المشاركين، التيتم تقديم كل ما يمكن لها من دعم.

لم تترك مديرية الثقافة مجالًا يمكنها دعمه، وتمكين أفراده، والمجتمع بشكل عام، إلا وكانت لها اليد الطولى فيه، ومنحته الطاقة، والاستمرارية، وكان شعارها التفاعل الإيجابي، وتقديم كل أسباب النجاح له، ولم تنس التشبيك مع مؤسسات المجتمع المحلي، والدوائر الحكومية، لرفده وإفادته، والإفادة منه، فرعت ملتقيات الإبداع الطلابي، واستضافت فعالياتها، وهيأت كل ما يلزم لإنجاحها وديمومتها، وتعاونت مع المدارس، والجامعات، في هذا الشأن، وفي كل ما يمكن أن يحقق الهدف.

تجاوزت مديرية ثقافة الكرك حدود المحافظة، وعملت بتعاون، وإيثار مع مديريات الثقافة في المحافظات الأخرى.

أصبح مركز الحسن عنوان التقاء كل ضيوف الكرك، وكل مَن له حاجة لعقد مؤتمر، أو ندوة، أو إشهار كتاب، أو لقاء سفارة، أو وزارة، أو أي طالب علم يقصد مكتبته، أو فنان يعرض لوحاته، أو موسيقار، يدرب، ويعلم العزف، أصبح كثير الزحام، كيف لا، وهو المنهل العذب الرقراق.

فعاليات مديرية ثقافة الكرك، لوحات وَشْم لهوية، وتراث نقشت خطوطه في كل القلوب، والذاكرة، تقول مع نزار:

وكيف أمحوك من أوراق ذاكرتي

وأنت في القلب مثل النقش في الحجر.

لوحة القطرانة

في عمق الصحراء الأردنية، حيث تتنفس الأرض الصمت وترسم الرياح أنغامها على الرمال، تقف قلعة القطرانة ككلمة ضائعة من قصيدة لم تكتمل، شاهقًا ومتحديًا الزمن، يُخبّئ بين أحجاره همس العابرين وأسرار القوافل الراحلة.

هنا، لا تشعر أن القصر مجرد بناء صامت؛ إنه شاهدٌ على صخبٍ كان يملأ الفضاء. في فناءه الداخلي، كانت الحكايات تتلاقى: حجاج يشكرون الله بعد يومٍ طويل من المسير، وتجّار يُحصون أرباحهم تحت ضوء القمر، ورعاة يروون حكايات النجوم للأطفال. كل حجر هنا يحمل ذاكرة، كل زاوية تختزن قصة، وكل ظلٍ يعانق الجدران يخفي بين طياته غيابًا مليئًا بالحضور.